نافذة

صمود الثقافة

رغم الانهيارات الكبيرة في الجسم الثقافي الهائل وانكشاف سواد معتلي سروجها وسقوطها أمام رعاتها وهالتها ومشاريع استسهال حضورها، ومن ثم العمل الدؤوب من أجل بقاء إشراقها والفسح للمهتمين بشأنها متابعة مهام تطويرها، وبسبب كونها صيغة وطنية مرئية ومسموعة ومحكمة من شفاه وطن، وهي تخص أفراداً ومجتمعات ودولاً، فإننا مدعوون لفهم تركيبتها القائمة من مبادئ الجذور التاريخية، تتناقل الأجيال خصوصيتها التي تشعر حامليها بثوابتها التي تراكم الواقع الذي يدلنا على الاقتراب من حقيقتها.

المؤكد أن مهمة الثقافة تمثل عبقرية أي نهضة، لأنها تجسد روح الصراع بين المثل العليا وواقعية الحياة، ناهيكم عن قدرتها على تحطيم مأساتي الطموح المستهتر والغيرة القاتلة، وتأخذ بالمرء إلى رؤية العالم كما هو، لا كما يتوهم وجوده الفكر اللاعاقل، فهي التي تشد شعوب الأرض إلى وحدتها الإنسانية التي تنهي الكره، وتكشف دعاة الحروب والاستعمار، تفرزهم لأنها تبحث عن التألق الصادق والحب الأمين، لأن أي تقدم للثقافة يعني تقدماً للشعب، وكلما تقدمت ثقافة المشهد انحدرت الخرافات، وقلت المظالم وتعزّز التفاؤل وتطور الأداء، وظهرت عليه لغة الجمال الجاذب، فتغري الجميع، وتدافع عنهم بقوة أمام المحاكم الإلهية والوضعية، وهنا يتجلى نظام قوتها، فهي تخلط منجزات العالم القديم بما أنجزه العالم الحديث، ليظهر علينا الغرام ضمن الأدب والثورة على القديم بفعل الحداثة وحقوق الإنسان أو الحقوق الإلهية التي يدعيها الأقوياء، بأنه منحها لهم، إنها تخترق بحور الأديان ومفاهيم السياسة والساسة وتهاجم المتكالبين على الحياة الراغبين دائماً في السطو على وداعتها وإرثها النوعي الجميل.

قد تتنازع الثقافة أحياناً في شخص المثقف، تثور مزبدة نعم، تحنق على ما تراه من خلال ما تحمله من لغات اجتماعية جميلة ولبقة، وحينما يتعذر التوفيق بين ما تراه وما يؤمن به تصيبه باضطراب، وتفقده توازنه، فإما أن يخرج من واقعه الذي يعتبره دوناً، وإما يكون في حدّ ذاته دوناً، لأنه لم يؤمن يوماً بثقافته الوطنية التي حمته، إلى أن ظهر كمثقف بين مجتمعه، وهنا نوجه إلى أن أشعة الفكر الثقافي ثاقبة، تفيد كثيراً العقل الواعي وما يمتلكه من عمق ثقافي، فتجعله يصمد أمام أي حدث فجائي؛ بل أكثر من ذلك تأخذ به إلى عمق الحدث، وتمنحه فرصة التفاعل معه والإسهام الموضوعي في إصلاحه أو تعزيز وجوده، فالثقافة لا تقبل الشخصيات المزدوجة، لأن حامليها مؤكد ساقطون على سبلها، ولن تلتقطهم أبداً، ومادامت الثقافة ترعى الفنون السبعة «العمارة والنحت والرسم والموسيقا والمسرح والرقص والسينما»، وتعمل على تطويرها والحفاظ على الإرث المتنوع والموروث الجيد والأوابد التي تحكي تاريخ الحضور وأسباب حضورهم فهي قوية فاعلة، ولحظة أن تهتز هذه الرواسخ يبدأ تفعيل صمودها أمام الهجمات التخلفية التي تريد تجهيل المجتمعات، فالثقافة على تضاد مع الجهل والتجهيل والقتل والتدمير، لأنها تمثل أنوار العقل وانعكاساته على الظلام والظلاميين، تحيا في النور وتحت أشعة الشمس، فلا تخفى على أحد، تريدنا أن نأخذ بها كي تتحول حياتنا إلى أكثر من طبيعية، وتصبح واقعية ومتجذرة مستقرة وخالية من مظاهر التدليس والمكابرة، وللأسف إن المعادين للثقافة الحقيقية حاولوا تقسيمها، فغدونا نسمع ثقافة الفساد، وثقافة المعارضة، وثقافة المسؤول، وثقافة العدوان، وثقافة الرشوة، وثقافة الثورات، متناسين أن الثقافة لا تعترف إلا بثقافة الإنسان الوطنية التي تتجانس مع الإنسانية أينما وجدت.

هل نستسهل لقب مثقف والكيفية التي يصل إليه، وهل يعتبر الثقافة برجاً عاجياً يسعى إليه، ومن ثم ينفصل عن مجتمعه؟ هل الشكل ينبئ عنه أمام ما ينطق به ويعبر عنه أسلوبه؟ هل إذا أجدنا حفظ بعض من لغة المنابر الثقافية العالمية نغدو مثقفين، أم يجب أن يكون للمثقف هوية وطنية تصبغه بها أولاً وأخيراً؟

هل الروائي والقاص والشاعر والنحات والممثل على خشبة المسرح أو الدراما أو السينما مثقف أم متخصّص؟ وهذا ينطبق على رجل السياسة والدين والاقتصاد والاجتماع وغيرهم، إنهم تخصّصوا في منحى، ومن الضروري أن يكونوا مثقفين، كي ينجحوا في تخصصاتهم، وإلا تكن حياتهم وأفعالهم وظيفية لا حياة فيها، فالثقافة حياة وروح وحب وخدمات فكرية، وصمودها وتفاعلها يدلان على حيويتها وتألق مجتمعاتها، هذا يقودنا إلى أن نسأل: هل لدينا ثقافة؟ نقول أجل ولدينا ثقافة ومثقفون، ومجتمعنا خلاق بعيداً عن مدّعي الثقافة وما أكثرهم، وسوادهم كشف عنهم الغطاء، فظهر عريهم الانتفاعي فقط، وأسقطوا أنفسهم عند مفارق الواقع الوطني الذي من المفترض أنهم تأسسوا عليه، ونهلوا من مشاربه، فغادروا إلى خانة معاداة الثقافة وقناعتهم أنهم أخذوا الثقافة معهم، ولم يدركوا حجم وقوة الثقافة وصمودها ضمن أعتى الظروف، وأن صمودها مبهر رغم التعتيم عليها إعلامياً نظراً لانشغال الإعلام في اعتقاده بما هو أهم، أي بما أسقط على الأمة من أزمات خطفت أضواءه إليها، من باب أن الإعلام تنفيذي وناقل لسياسات تمتلك جداول الأولويات من دون الانتباه إلى أن الثقافة –ماضياً وحاضراً ومستقبلاً– تمتلك المبادئ والقيم والمثل التي تدعو الجميع للتمسك بها، ناهيكم عن سعيها الدؤوب للحفاظ على وحدة الأمة من خلال الحفاظ على لغتها الجامعة وأرضها المانعة ومقاومتها لكل أشكال التشرذم، فهي تمتلك أدبيات بناء الجسور الاجتماعية، تمدها فتعبر البشرية عليها محدثة الاتصال المباشر وغير المباشر مهما تعددت الألوان واختلفت الأفكار.

إذاً ما أهم معوقات حضورها أو منع انتشارها أو حصدها للنتائج الخيّرة، ومن معرقلو تقدمها؟ وما دور الإعلام المرئي والمسموع والمقروء ناهيكم عن وسائط التواصل الاجتماعي؟ من المسؤول عن تقدم الثقافة وتراجعها؟ ألا تحتاج إلى الإعلام لكونها تقدماً للحياة بكل أنواع الإبداع وجماليته؟ وحينما يقصّر الإعلام تجاهها فكيف يكون حالها؟ ألا يجب أن يكون الإعلام من أهم مناصريها، إضافة لمهامه التنفيذية؟ كيف يتم التعامل الإعلامي مع مفردات الثقافة التي تمنح الجميع ليالي جميلة، وتعدهم بانبلاج يوم جديد يضجّ بالحياة والحب والمغامرات عبر القصص الشعبية والروايات المتقدمة والفلسفة التحليلية، ومن خلال سيناريوهات الدراما والسينما وجمال العمارة ورهافة الموسيقا وصورة المسرح ومداعبات الحب النوعي بين الأجيال على اختلاف أعمارها.

من يحارب الثقافة يحارب الحياة، والحياة قوة قاهرة، ومن نحن كي نحاربها؟ من ينقلب على الثقافة لا منطق له ولا إيمان، بأي شيء ممكن جداً أن يعترف الإنسان ويقول إني لست مثقفاً، لكن أبداً لا يمكن له أن يدعي بأنه عليها، لأنها سرعان ما تكشفه، وسواد مجتمعنا حتى اللحظة لا يعرف ماذا تعني الثقافة، وكثير أيضاً من المثقفين إذا دققت ودخلت عليهم لا تجد أي إشارة إلى وجود حالة ثقافية في بيوتهم، وربما تجدهم ميالين للتديّن؛ أي مناهضون لأي مشروع ثقافي، ونجدهم يستخدمون لغتها باستعارات مفرداتها، ويجسمونها ويطرزونها على مقاساتهم، ويصلون إلى حدّ البلاغة والشعر، ولكثرة ما يرددون أنهم مثقفون يغدون أقرب للواقعية.

بعيداً عن كل ذلك، أكثر من ضروري تعاون الإعلام مع الثقافة، وصحيح أنها صمدت ضمن الأزمة، وانهار الكثير من مدّعيها، وغاب الإعلام عنها لانشغاله بالأحداث، إلا أن تطويرها وتقدمها يحتاجان إلى إعلام مهتم حقيقةً بها، ومنها نجد أهميتها في تطوير مجتمعنا وأسرنا وأفرادنا نتيجة دخول الإعلام إلى كل زاوية من زوايا البصر، صمود الثقافة يؤسس دائماً لثقافة الصمود.

د. نبيل طعمة

أنا لم أترك سورية الوطن مطلقاً

غزوان الزركلي لـ«الوطن»: أنا فرد ولا يكفي لواحد أن يصنع تقليداً فهناك جدّيون وعليهم بالمشاركة

سوسن صيداوي

«إن الفعل الفني الموسيقي يضع المستمع في عالم تجربة إنسانية افتراضية توازي التجربة الحقيقية الواقعية. وهدف مثل هذه التجربة الافتراضية هنا هو برأيي تنقية روح المتلقي من أي شوائب عنفية وهمجية، هو إدانة للعنف وللهمجية والظلم وتأكيد ما هو إنساني. المواساة والوصول إلى حياة شخصية واجتماعية أكثر ثقافة ورقيا وجمالا وسعادة، أليس هذا دور الفن في حياتنا؟».

الجملة مرفقة بالبروشور الذي شرح فيه عازف البيانو العالمي والمؤلف الموسيقي غزوان الزركلي حفله الذي قدمه في المركز الوطني للفنون البصرية بدمشق، ضمن حفاوة من جمهوره المهتم والمتذوق لهذه النوعية من الموسيقا. وعن برنامج الحفل قدّم العازف وجبة موسيقية دسمة من السوناتا لسيرغيه بروكوفيف–سوناتا رقم٣ ورقم٧. وبعد الاستراحة تابع برنامجه مع مقطوعة لبيوتر تشايكوفسكي بعنوان (الفصول). وللحديث أكثر عن الحفل نتوقف مع المزيد.

موسيقي أعطى من روحه وذاته

بداية أعرب رئيس مجلس إدارة المركز الوطني للفنون البصرية د. غياث الأخرس عن بالغ سعادته لكون الحفل هو من ضمن برنامج تمّ التحضير له لعام كامل... لعام٢٠١٩، مشيراً إلى أن الجودة والنوعية التي ستقدّم للجمهور هي على درجة عالية من الكفاءة والاحترافية، وهذا أمر يتوافق مع ضيف أول حفل موسيقي يحييّه المركز لهذا العام، ويضيف «في الحفل كنا أمام نوتة موسيقية وموسيقي كبير غزوان الزركلي، فلقد قدّم لنا في الحفل مقطوعات موسيقية أخذت من روحه وعطائه الكثير، وأنا أشعر بأن نوعية المقطوعات التي عزفها زركلي لنا من حيث سرعتها ورصانتها تتفق كثيراً مع طريقة تفكيره ونشأته الموسيقية. إذاً لقد أعطى لكل مقطوعة من ذاته الكثير صانعا الاختلاف إذا ما قارناه مع غيره بالأداء، فهو قامة كبيرة وتمكن من أن يستحوذ في هذه النوعية من الموسيقا على كل اهتمام وتقدير».

وأضاف د. الأخرس عن برنامج المركز الوطني للعام الحالي وما يحمله من تحديات وصعوبات في الشأن الثقافي الذي يسعى جادا لاحتضانه «في كل مدن العالم هنالك حي يُعنى بالشأن الثقافي، وللأسف هذا غير موجود لدينا، فالأنشطة الموسيقية صغيرة ومحدودة بالمكان، وكذلك الأنشطة المسرحية، وحتى نشاط الفن التشكيلي فهو مشتت. هذا ومن جهة أخرى وللأسف الشديد إنه منذ إعلان دمشق عاصمة الثقافة في عام٢٠٠٨، لم نكن نمتلك في وقتها البنى القادرة على حمل العبء الثقافي بكل أشكاله وأنواعه، أنا كنت عراب هذا الموضوع على صعيد المركز الوطني، وكان العرض بأن يتم العمل في التصميم وفق قياسات عالمية دولية، واليوم استطاع المركز الوطني أن يحقق المعادلة وأن يكون أول مركز– مهنياً– في الشرق الأوسط يقدم المواصفات المطلوبة، وقادراً على استيعاب كل الأنشطة، وتقديم برنامج ممتد على كل المساحة الوطنية، وفق انتقاء للجودة مع أسلوب قادر على استقطاب الجمهور وبالوقت نفسه بمقاطعته مع كل نشاط يقدمه المركز، بعيداً عن أي تسويق دعائي، هذا ولأن سورية نشاطاتها الثقافية متقطعة ومنتشرة كان لابد من وجود مركز يحتويها كلّها، ونحن نسعى لذلك من خلال المركز الوطني الذي بجدّ واجتهاد يبحث كي ينجز برنامجه كاملا للعام٢٠١٩و هو قيد التنفيذ تباعا بحسب الزمن المحدد، سواء من حيث المعارض التشكيلية أم الحفلات الموسيقية أو حتى الندوات التي تمكّن من الحوار المفتوح بين مدير الندوة والجمهور ويسعدني أن الأخير بكل أعماره وأطيافه، يلتف حول المركز من دون أي جهد دعائي له، لكونه متطلباً للجودة، وهو أمر يجعلنا بمواجه التحديات والانتقادات لأن لا نقبل بالعرض إلا مع مستوى عال يليق».

في احترافية عالمية

بداية تمكن–كعادته–المبدع غزوان زركلي من أن يكسر جمود البرد وقسوته، وليس هذا فقط بل تحدّاه وقدم لجمهوره ما يأسر الروح من أجمل المقطوعات وبحرفية عالية. حول هذه النقطة يقول «في الحقيقة للظروف الخارجية التأثير البالغ في الموسيقا، سواء أكانت من برد أم عوامل أخرى من حيث تقنينات المسرح أو حضور الجمهور، ولكن بطبيعة الحال الحرفنة أو الامتهان هما عاملان أساسيان في تمكين العازف من السيطرة والابتعاد عن أي ظرف من الممكن أن يؤثر في أدائه، وهنا وبالمناسبة أحب أن أشكر كل القائمين في المركز الوطني للفنون البصرية على اهتمامهم وعملهم الدؤوب في تقديم كل العروض بشكل احترافي حتى ضمن أبسط الأمور المتاحة، وخاصا أن المركز ما زال في طور التقدم على صعيد تقديم الحفلات الموسيقية المحترفة، وأنا أعتقد أن المركز سيحتل المرتبة الأولى وخاصة في تقديم الحفلات الموسيقية، رغم ما يتعرض له من التحديات سواء في العوامل التقنية كالإضاءة وأمور العرض بتفاصيله كلّها مثلا، أم غيرها من الأمور، وبكل صدق أنا أتمنى للمركز أن يكون القِبلة للأنشطة الموسيقية في دمشق».

كما أننا لاحظنا أن عازف البيانو العالمي له من الحزم والجدّية الكثير على المسرح، وأنه يطلب من جمهوره –وبالإشارة– الجلوس أو التوقف عن التصوير وغيرها من الأمور، كي يستمتع الجميع بالحفل، مشيراً إلى أن هذه الأمور يجب أن تكون عادة متّبعة لدى الجمهور المتلقي وعليه الامتثال لها، متابعاً «بالطبع هذه التصرفات من الجمهور يجب التقيّد بها ويجب أن تكون ثقافة مكتسبة يعتادونها، ولكن في الحقيقة ما يعود الناس ذلك هو الكادر المؤهل لتوجيه الجمهور، بداية من الجلوس في الأماكن المخصصة وعدم التصوير أو التصفير... إلخ، إضافة لاتباع كل التوجيهات التي بطبيعة الحال اعتادوها مثلا في دار الأسد للثقافة والفنون، لهذا أنا أعتبر أن صاحب الحرفة على المسرح له شخصيته، وحضوره هو الذي يطغى على كل التفاصيل وهو القادر على أن يأخذ جمهوره حيث يريد».

وبالنسبة إلى حسن الإصغاء إلى الموسيقا الكلاسيكية يتابع المؤلف الموسيقي غزوان الزركلي «أنا أرى أن توجيه الأطفال ابتداءً، ومن ثم الكبار إلى الإصغاء إلى الموسيقا الكلاسيكية هو نوع من التربية والتعويد، وبالطبع الطفل المعتاد على الصريخ والعياط لن يكون من السهل التفاهم معه إلا بهذه اللغة نفسها وبعلو الصوت نفسه، وهنا أحب أن أذكر مثالا من حياتي المعيشة، فأنا أعيش بالقرب من مدرسة –منزلي في حي الشعلان– ويومياً أثناء الفصل الدراسي أسمع صوت المديرة وهي توجّه الأطفال إلى الخروج أو الدخول إلى صفوفهم بنبرة صراخ حادة، وفي يوم عندما زرت المدرسة وقلت لها إن هذا الأسلوب غير مجد وهو أسلوب خاطئ، أجابتني إنها تعاني الأمرّين بالتعامل مع الأطفال، لأنهم لا يصغون إلا للصراخ، وبرأيي حضور هذه النوعية من الأطفال إلى الحفل لن ينفعهم، فهم كما ذكرت أعلاه اعتادوا الأصوات الحادة والصراخ، على حين من حضر الحفل من الأهالي والشباب هم من يستطيع أن يربي طفلا قادرا على الإصغاء والاستماع إلى هذه الموسيقا، لا بل اكتسابه كي يعلّم أطفاله أيضاً في المستقبل، وموضوع حسن الإصغاء والتمتع بالموسيقا الكلاسيكية كنت لاحظته بالقسم الثاني للحفل، من بعد الاستراحة، فأنا ممنون للجمهور الذي أحسن الإنصات إليّ وتابع عزفي بشكل جدّ رائع».

وفي دعوة كي يعاود الموسيقي العزف مجدداً في مسارح عزف فيها من ماض بعيد يجيب«لقد عزفت لأول مرة في مسرح الحمراء في عام١٩٦٨، وفي مسرح القباني عزفت لأول مرة في عام١٩٦٣، وبالطبع أنا لم أقصّر وأقول: أنا فرد واحد، ولا يكفي لفرد واحد أن يصنع تقليدا، فهناك أشخاص جدّيون وعليهم أن يشتركوا بأنشطة كهذه، لا بل أن يؤمنوا بها ويساهموا فيها مساهمة فاعلة».

وأخيراً حول مشاريع غزوان زركلي المستقبلية وعودته للوطن سورية وعدم قدرته على الابتعاد عنها ختم حديثا معه «أنا لم أترك سورية الوطن مطلقاً، صحيح أنني تغيبت لمدة ثلاث سنوات، ولكنني عدت وحضرت هنا لأكثر من خمس مرات، إذاً أنا لم أترك سورية نهائياً، وحتى في وقت الدراسة كنت دائماً أعود لزيارتها مرتين في العام. أما بالنسبة للنشاطات المستقبلية، في الوقت الحالي فلن يكون هناك نشاطات، لأني سأتابع عملي على إنجاز الكتاب الذي أقوم بتأليفه، إلى جانب تأليف المقطوعات الموسيقية، وأخيراً أختم، في الوقت الحالي أنا ملتزم مع المركز الوطني للفنون البصرية، وسنعمل على إنجاح التعاون بيننا، كي يصبح المركز تقليدا ثقافيا يعتاد الجمهور ارتياده عبر برنامج من الحفلات التي لها قيمتها ووزنها، سواء من حيث التحضير أم التقديم أو الجهد المبذول، ضمن خطة معينة نتوجه بها للناس سواء أكانوا من النخبة أم المتابعين أم حتى من الأطفال».

من جانب الجمهور.. أمانة والي

بداية أعربت مديرة المسرح القومي أمانة والي عن سعادتها لنوعية وجودة كهذه من الأنشطة، مضيفة «بشكل عام أنا سعيدة جداً لنوعيات كهذه فمنذ يومين حضرنا في دار الأسد للثقافة والفنون حفلاً برعاية وزارة الإعلام أحيته الفنانة ميادة بسيليس والموسيقي سمير كويفاتي، وفي هذه الأثناء حفل عازف البيانو العالمي غزوان زركلي في المركز الوطني للفنون البصرية، أنا سعيدة ومتحمسة لهذه النوعية من العروض لأنها ترفع من مستوى الذوق عند المتلقي السوري. ولكن هنا أحب أن أشير إلى نقطة جدّ مهمة لكون الأماكن التي تقدّم فيها فعاليات كهذه هي نخبوية، ومن يقدمها من أساتذة لا يقدموها في غير أماكن، وهنا أوجه دعوة بأن تُقدّم فعاليات كهذه سواء بمسرح الحمراء مثلا أم بمسرح القباني كي تكون أقرب لشريحة أكبر من الجمهور وفي متناول الجميع حتى من حيث السعر، وأنا أعتبر هذا الأمر ضرورة وحاجة يجب علينا استدراكها. أما بالنسبة للحفل الحالي فهو حفل رائع وعلى الرغم من أنني لا أستهوي كل الموسيقا الكلاسيكية باستثناء بتهوفن وتشايكوفيسكي، فإن مؤلفنا الموسيقي زركلي هو رائع في عزفه الحي وآسر للقلوب. وأعيد وأشدد أن ينشر زركلي وكل من يحمل رسالة موسيقية راقية، موسيقاهم الحيّة في كل المسارح كي نتمكن من إعادة تقويم سمع وتذوّق هؤلاء الشباب الذين، وللأسف لم يبق لهم رموز موسيقية أو طربية غنائية يأنسون بها وترافقهم في مراحل حياتهم العمرية».

من جانب الجمهور.. ميساك باغبودريان

من جانبه اعتبر المايسترو ميساك باغبودريان إن الحفلات الموسيقية هي طقس يجب أن يكون عادة ضمن المجتمع وبألا يقتصر على منبر معين يليق فيه التقديم، ويتابع «نحن بحاجة أثناء الحرب والأزمات للثقافة كي نحافظ بداية على الهوية، وعلى الشخصية الثقافية للمجتمع، إضافة للحالة الاجتماعية التي تشمل كلاً من الشباب والحياة الاجتماعية التشاركية، وبالتالي هذا الأمر هو مهم جداً ضمن المجتمع مع وجود مركز كالمركز الوطني للفنون البصرية بحضور قامة كبيرة كالفنان غزوان الزركلي الذي قدم لنا خلال الحفل وجبة دسمة من المقطوعات الموسيقية. إذاً فعاليات كهذه هي حاجة وضرورة في المجتمع، وهنا أحب أن أشير إلى التناوب بين كل من المركز الوطني للفنون البصرية ودار الأسد للثقافة والفنون، إضافة إلى مسرح الحمراء، هذا التناوب والتنوع جميل وضروري من حيث تنوّع البرامج المقدمة في كل منبر من المنابر المذكورة، بل هو مهم جداً للمجتمع ولو تنوعت المنابر بالمناطق السورية. وأخيراً أحب أن أشير إلى نقطة جدّ مهمة لكون المركز منذ لحظة الدخول إليه، العين ترى فيه الجمال من خلال اللوحات المعروضة، وبعدها تستمع الأذن إلى ما يطيب سمعه في الحفلات الموسيقية، ليخرج بعدها منه المرء مشبعاً بالفن الراقي والضروري لكل الفئات».

غزوان الزركلي في بطاقة تعريفية

– موسيقي عربي يقيم في وطنه سورية، ولد في دمشق عام١٩٥٤.
– يشارك في الحياة الموسيقية السورية بدءاً من عام١٩٦٣، تاريخ أول حفل (على مسرح القباني في دمشق) تضمن عزفاً منفرداً وعزفاً جماعياً وقيادة أوركسترا أطفال المعهد العربي للموسيقا التابع لوزارة الثقافة والمؤسس عام١٩٦١.
– عازف منفرد شمل نشاطه سبعة وعشرين بلداً.
– يحمل أربع شهادات جامعية من برلين وموسكو.
– تدرّج في العمل الأكاديمي ما بين عامي١٩٧٦و٢٠٠٣ ليصبح أستاذا ثم خبيرا، وكانت محطاته مدن برلين وموسكو وأوسنابروك ودمشق والقاهرة.
– له ثماني أسطوانات ليزرية في العزف والتأليف.
– يحمل الجنسية الألمانية ومجاز بتعليم اللغة الألمانية ومترجم منها إلى العربية أربعة كتب.
– له كتابان في الموسيقا: «عن الموسيقا والموسيقيين»، «الصوت والزمن».
– يدير مدرسة باسمه في مدينة فايمار الألمانية.
– يشرف على صف الأداء الخاص بطلاب البيانو في المعهد العالي للموسيقا بدمشق.

الدراما الإذاعية.. سبعون عاماً ويومان

أحمد محمد السح

تغيرت تقانات العصر وتغيرت مفاهيم الإرسال والاستقبال ونحن اليوم في عصر التواصل الاجتماعي الذي يسم العصر بالسرعة والفوضى في آن، نحن في زمن نستطيع القول إن كل من يحاول أن يتجاهل الناس ستتجاهله عجلة الحياة، في زمن باتت فيه كل النظريات في الإعلام والفنون وربما في مجالات الحياة كافة على المحك، ربما يبقى بعضها ويختفي كثيرها، ليحلّ مكانه نظريات جديدة لا نستطيع تلمّس معالمها لكن الأيام للناس وحدهم، كمشاركين في العملية الإعلامية لا مجرد متلقين. «سبعون عاماً من العطاء» هذا هو الشعار الذي رفعته الورشة المخصصة للدراما الإذاعية التي أطلقتها وزارة الإعلام السورية برعاية الوزير عماد سارة، وإشراف دائرة التمثيليات، في خطوة تعتبر رائدة، للوقوف مع فن الدراما الإذاعية الذي سُمعت بعض الأصوات في الشارع الثقافي تنادي بدفنه من دون الترحّم عليه حتى، ولكن من يعرف دائرة التمثيليات في مبنى الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون يعرف أنها خلية نحل وأن العمل فيها لا يتوقف وأن إنتاج الأعمال والبرامج الإذاعية لم يتوقف في أصعب سنوات الحرب في سورية، وهذا ما أوكل للعمل مآلات فيها نجاحات كثيرة وفيها بعض العثرات، ومن لا يعمل لا يخطئ، ففي كل خلايا النحل في الطبيعة ليس كل العسل صافياً، وهذا من طبيعة مسارات الحياة، الورشة قسمت العمل على يومين في التاسع والعاشر من هذا الشهر كانون الثاني للعام ٢٠١٩، وافتتحت بشكل رسمي، وقد اقتصرت فيها الكلمات على كلمتين للسيد الوزير عماد سارة، والأستاذ المخرج باسل يوسف، الذي أكد في كلمته العمل على بناء متين هو سبعون عاماً كان فيه للإذاعيين السوريين الرواد أسس متينة نعمل اليوم على التمسك فيها والبناء عليها، وأما السيد الوزير فقد تحدث عن أهرامات للفن السوري في الكتابة والتمثيل والإخراج وعن اهتمامه بمنجزات الدراما الإذاعية وتَركَ المجال مفتوحاً للحوار والنقاش للمدعوين للورشة لاستخلاص مقترحات وتوصيات سيكون الوزير حريصاً على استصدار قرارات داعمة في خصوصها، معلناً بعدها انطلاق الورشة التي انقسمت إلى أربع ورشات: «النص الإذاعي– الإخراج الإذاعي – التمثيل – القراء والنقاد». بدت الهواجس كثيرة وأولى المشكلات التي أعلن عنها انخفاض الأجور للعاملين في الدراما الإذاعية في مختلف الاختصاصات، فعلى سبيل المثال لا الحصر: يتقاضى قارئ النص الإذاعي ستين ليرة سورية فقط مقابل قراءة سهرة تلفزيونية، وعلى هذا نستطيع القياس في مختلف الجهود، ولكن بالمقابل نستطيع القول إن الحب والشغف لا المال هما سبيل استمرارية عمل دائرة التمثيليات وعدم توقف نبض الدراما الإذاعية. ومن ناحية أخرى برزت مشكلة التسويق للدراما الإذاعية فالإنتاج في هذا القطاع رسمي صاف فلا دعم ولا تدخل للقطاع الخاص على الإطلاق، هنا نخرج من دوامة المال القذر ذي المآرب السوداء والأجندات المشوهة التي عبثت بالدراما التلفزيونية السورية وانحدرت بقيمها الفنية والثقافية، ولكن بالمقابل ليس كل المال الخاص قذر، ويمتلك القطاع الخاص المرونة في الحركة والدعم مضاعفة عن القطاع العام، وهو قادر على خلق فرص عمل جديدة للاستثمار في هذا المجال كما أن الإذاعات الخاصة – التي سجل حضورها الشامل عن الورشة وكأن الأمر لا يعنيها – كان من الضروري أن تعنى بهذا القطاع فإن لم تستطع الإنتاج للدراما الإذاعية تستطع المشاركة وشراء الأعمال الإذاعية الضخمة التي يقدر عددها في أرشيف الإذاعة بمئة وخمسين ألف ساعة بث إذاعي وربما أكثر، أفلا تستطيع أي إذاعة خاصة شراء «بلوك» درامي إذاعي مدته ربع ساعة لتبثه على الجمهور الخاص بها لتتعرّف أجيال جديدة على هذا الفن الذي ربما لم يعرفوه اليوم، بدل القيام ببث مسلسلات تلفزيونية، صوتاً من اليوتيوب لملء الفراغ الإذاعي الذي تعانيه. ومن الأشياء التقنية الضرورية في الدراما الإذاعية هو الحرص على التجديد والإغناء الدائم للمكتبة الموسيقية والمؤثرات الصوتية، ليتاح إمكانية أكبر في جعل العمل متكاملاً وغنياً ومفهوماً للمتلقي، والابتعاد عن الاستعانة بالموسيقا الجاهزة المأخوذة من المسلسلات بل العمل على فتح فرص عمل جديدة للموسيقيين الشباب خريجي المعهد العالي للموسيقا لتأليف موسيقا خاصة بالعمل الدرامي الإذاعي، وإعداد ورشات تدريبية لتأمين كوادر كتّاب للدراما الإذاعية، لكون هذه المهنة لا يوجد لها في سورية اليوم من هو متحصل على اختصاص كاتب إذاعي ولكن لدينا خبرات بالممارسة تستطيع نقل خبراتها إلى الأجيال الراغبة في استمرار هذا الفن الأصيل، ومن المهم بالنسبة للجمهور ومن ثم للإذاعيين أنفسهم أن يعرفوا أن الإذاعة لا تنافس التلفزيون والعكس صحيح، الإذاعة تنافس إذاعة، وعلى كل من التلفزيون والإذاعة أن يتسابقا اليوم في عملية شدّ كبرى للجمهور لتحصيل جمهور أكبر لتثبيت مكانتها في عالم تعصف به وسائل التواصل الاجتماعي بكلّ شيء، فالأيام تنبئ أن التلفزيون في خطر كانت الإذاعة والصحيفة الورقية قد دخلتا فيه قبل فترة. يتضح اليوم أن المنافسة كبيرة وأن العمل في الدراما الإذاعية يحمل من الصعوبات الكثير، ومن المؤكد أن هذه الورشة ستقدّم قفزة واسعة للدراما الإذاعية إلى الأمام إذا ركبت موجة التواصل الاجتماعي بحرفية، وإذا ما ساهمت بالوصول إلى الناس حاملةً معها مقتضيات عصرهم فلا فن بلا جمهور يستفيد منه ويعبّر عنه، وإلا كان الأمر لغواً لا أكثر، وربما يقع هذا المقال في إطار الشد على أيدي المشتغلين بهذا القطاع النظيف، والأمل كله بأن تسهم هذه الورشة في بلسمة جراح الإذاعيين الكثيرة.